بسم الله الرحمن الرحيم

هذه قصيدة تاريخية للأستاذ الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المراكشي العراقي تلميذ الشارح ورئيس أساتذة آداب اللغة العربية بدار العلوم لندوة العلماء سابقاً. أنشدها بعدما أخبره الشيخ الشارح رحمه الله تعالى بإرادته الشروع في طبع الجزء الأول من «تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي» في شهر ربيع الثاني سنة ثلاث وأربعين بعد ألف وثلثمائة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

بِسْمِ الإِلَهِ الواحِدِ الرَّحْمَنِ ... الخَالِقِ الرَّزَّاقِ ذِي الإِحْسَانِ

المَالِكِ البَاقِي اللَّطِيفِ لِمَا يَشَا ... رَبِّ الخَلاَئِقِ مَالَهُ مِنْ ثَانِ

خَضَعَتْ لِعِزَّتِهِ السَّمَوَاتُ العُلَى ... أَمْلاَكُهَا وَالنَّجْمُ وَالقَمَرَانِ

وَكَذَا البَسِيطَةُ بَرُّهَا وَبُحُورُهَا ... وَدَوَابُّهَا وَالطَّيْرُ وَالثَّقَلاَنِ

وَبِحَمْدِهِ كُلُّ الخَلاَئِقِ سَبَّحَتْ ... حَتَّى الجَمَادُ وَذَاكَ فِي القُرْآنِ

وَالرَّاسِيَاتُ تَشَقَّقَتْ وَتَفَجَّرَتْ ... وَتَدَكْدَكَتْ مِنْ هَيْبَةِ الرَّحْمَنِ

فَلَهُ المَحَامِدُ كُلُّهَا فِي هَذِهِ الـ ... ـدُّنْيَا وَيَوْمَ الحَشْرِ وَالمِيزَانِ

هُوَ رَبُّنَا وَمَلاَذُنَا وَغِيَاثُنَا ... لاَ نَسْتَغِيثُ بِغَيْرِهِ فِي شَانِ

كَلاَّ وَلاَ نَدْعُو سِوَى رَبِّ العِبَا ... دِ لِنَفْعِنَا أَوْ دَفْعِ كَيْدِ الشَّانِي

فَهُوَ القَدِيرُ عَلَى الأُمُورِ جَمِيعِهَا ... وَسِوَاهُ لَيْسَ لَهُ بِذَاكَ يَدَانِ

سُبْحَانَهُ مِنْ مَالِكٍ خَلَقَ العِبَا ... دَ وَقَدَّرَ الأَرْزَاقَ بِالمِيزَانِ

وَهَدَى الأَنَامَ بِرُسْلِهِ لِصَلاَحِهِمْ ... وَعَلَيْهِمُ قَدْ جَادَ بِالفُرْقَانِ

كُتُبٌ مُطَهَّرَةٌ عَلَيْهِمْ أُنْزِلَتْ ... مِنْ رَبِّهِمْ لِهِدَايَةِ الإِنْسَانِ

حَاشَاهُ أَنْ يدعَ الْوَرَى هَمَلاً بِلاَ رُسْلٍ وَلاَ نُورٍ وَلاَ بُرْهَانِ
خَتَمَ النَّبِيِّينَ الْهُدَاةَ بِخَيْرِهِمْ وَالْكُتْبَ بِالْقُرْآنِ ذِي التِّبْيَانِ
لِلنَّاسِ كُلِّهِمُ قَدَ ارْسَلَ أَحْمَداً يَهْدِيهِمُ لِعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ
وَيُطَهِّرُ الْأَخْلاَقَ مِنْ شِرْكٍ وَمِنْ جَهْلٍ وَمِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ كُفْرَانِ
فَوَفَى بِمَا وَعَدَ الْإِلٰهُ بِهِ مِنَ الْ إِصْلاَحِ لَمْ يَثْنِيهِ[1] عَنْهُ ثَانِ
وَهَدَى العِبَادَ بِنُورِ رَبِّهِمُ إِلَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ بِرَأْفَةٍ وَحَنَانِ
مَا زَالَ مُجْتَهِداً لِإِنْقَاذِ الوَرَى وَنَجَاتِهِمْ مِنْ هُوَّةِ الْخُسْرَانِ
قَاسَى شَدَائِدَ لَوْ أُصِيبَ بِبَعْضِهَا شُمُّ الْجِبَالِ لَصِرْنَ كَالْقِيعَانِ
فَأَقَامَ يَدْعُو غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِمَا لاَقَى مِنَ الْجُهَّالِ مِنْ عُدْوَانِ
حَتَّى أَتَى النَّصْرُ الْمُبِينُ وَأَذْعَنَتْ زُمَرُ الْأَعَادِي أَيَّمَا إِذْعَانِ
مُتَبَتِّلٌ لِإِلٰهِهِ مُتَعَبِّدٌ مَعْسُورُهُ وَالْيُسْرُ مُسْتَوِيَانِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا ذُكِرَ اسْمُهُ وَالآلُ مَعْ أَصْحَابِهِ الشُّجْعَانِ
بُشْرَى لَنَا يَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ ذِي نِعْمَةٌ جَاءَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ
ذِي تُحْفَةٌ لِلْأَخْوَذِيِّ وَمِنْحَةٌ لِلْأَلْمَعِيِّ الطَّالِبِ الْعِرْفَانِ
شَرْحٌ بِهِ انْشَرَحَتْ صُدُورُ أُولِي النُّهَى
وَبِهِ الْمُحَدِّثُ نَالَ كُلَّ أَمَانِي
شَرْحٌ يَحُلُّ الْمُشْكِلاَتِ بِجَامِعٍ لِلتِّرْمِذِيِّ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي
شَرْحٌ عَلاَ فَوْقَ الشُّرُوحِ بِحِكْمَةٍ وَبِغَايَةِ التَّحْقِيقِ وَالْإِتْقَانِ

(١) لم يثنيه بإثبات الياء للوزن على حد قوله . .
ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

مَا شَـانَهُ مَيْلٌ وَلاَ عَصَبِيَّةٌ ... لِمَـذَاهِبٍ زَلَّتْ بِهَا الْقَدَمَانِ

بَلْ زَانَهُ الْإِنْصَافُ؛ تِلْكَ بُحُوثُهُ ... مَوْزُونَةٌ بِالْقِسْطِ وَالْمِيزَانِ

وَأَبَانَ أَحْوَالَ الرُّوَاةِ جَمِيعَهُمْ ... مِنْ حُجَّةٍ أَوْ صَالِحٍ أَوْ وَانِ

لاَ غَرْوَ إِذْ أَبْدَاهُ بَحْرٌ زَاخِرٌ ... فَخْرُ الْعَيَالِمِ عَابِدُ الرَّحْمَنِ

الْحَافِظُ الثِّقَةُ الْإِمَامُ الْمُهْتَدِي ... مَنْ صِيتُهُ قَدْ طَارَ فِي الْأَوْطَانِ

وَرِثَ الْمَكَارِمَ عَنْ أَبِيهِ الْمُرْتَضَى ... عَبْدِ الرَّحِيمِ مُحَقِّقِ الْقُرْآنِ

وَغَدَا سِرَاجًا لِلْهِدَايَةِ فِي (مُبَا ... رَكْبُورَ) بَلْ فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ

لِلّٰهِ مَا أَبْدَاهُ هَذَا الْحَبْرُ مَنْ ... بَهَرَتْ مَعَارِفُهُ ذَوِي الْعِرْفَانِ

فَلَقَدْ أَتَى فِي شَرْحِهِ بِفَرَائِدٍ ... دُرَرٍ تَفُوقُ قَلَائِدَ الْعِقْيَانِ

أَحْيَا بِهِ السُّنَنَ الَّتِي قَبَرَ الْعِدَا ... مِنْ ظُلْمِهِمْ فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ

فَتَبَشَّرُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ بِذَا الْكِتَا ... بِ وَقَابِلُوهُ بِوَاجِبِ الشُّكْرَانِ

هُوَ نِعْمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ عَظِيمَةٌ ... حَاشَا أَخِي بِدَعٍ جَهُولٍ شَانِ

عَمَّتْهُمُ وَأُولِي الْحَدِيثِ ذَوِي الْعُلَى ... خَصَّتْهُمُ بِزِيَادَةِ الْإِحْسَانِ

إِذْ هُمْ هُدَاةُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْمُصْطَفَى ... الْمُرْتَقُونَ مَرَاتِبَ الْإِحْسَانِ

مَا الْمُؤْمِنُونَ حَقِيقَةً إِلاَّ الَّذِيـ ... ـنَ قَدِ اقْتَفَوْا قَوْلَ النَّبِيِّ العَدْنَانِي

جَمَعُوهُ لِلذِّكْرِ الْحَكِيمِ فَأَشْرَقَتْ ... أَنْوَارُهُ لَهُمُ بِكُلِّ بَيَانِ

لَمْ يَضْرِبُوا بَعْضَ الْكِتَابِ بِبَعْضِهِ ... كَلاَّ وَلاَ قَوْلَ النَّبِي بِقُرَانِ

فَهُمُ مَصَابِيحُ الْهِدَايَةِ فَاقْفُهُمْ ... إِنْ شِئْتَ أَنْ تَنْجُو مِنَ الْخُسْرَانِ

حَاشَاهُمْ أَنْ يَتْرُكُوا قَوْلَ الرَّسُو ... لِ لِمَا رَأَوْهُ أَوْ لِقَوْلِ فُلَانِ

لَمْ يُحْدِثُوا حَدَثًا وَلَمْ يَتَفَرَّقُوا ... فِي دِينِهِمْ كَتَفَرقة[1] الْعِمْيَانِ

وَرَمَتْهُمُ أَعْدَاؤُهُمْ بِعُيُوبِهَا ... مَاذَا يَضِيرُهُمُ مِنَ الْبُهْتَانِ

خَلَقَتْ لَهُمْ أَلْقَابَ سَوْءٍ مِثْلَ مَا ... نَبَزَ الصَّحَابَةَ عَابِدُو[2] الْأَوْثَانِ

وَاللهُ طَهَّرَهُمْ وَأَعْلَى قَدْرَهُمْ ... عَنْ نَبْزِ كُلِّ مُعَطِّلٍ خَوَّانِ

مَا حَرَّفُوا مِنْ آيَةٍ كَلَّا وَلَا ... رَدُّوا حَدِيثًا جَاءَ إِلَّا الْوَانِي

هُمْ وَارِثُو نُورِ الرَّسُولِ فَلُذْ بِهِمْ ... إِنْ كُنْتَ تَبْغِي خَالِصَ الْإِيمَانِ

أَهْلُ الْحَدِيثِ هُمُ الْأُلَى عَمِلُوا بِهِ ... لَا الْمُكْثِرُونَ وَلَا ذَوُو الْإِتْقَانِ

إِلَّا إِذَا عَمِلُوا فَهُمْ أَوْلَى بِهِ ... مِنْ غَيْرِهِمْ حَقًّا بِلَا نُكْرَانِ

فَاعْكُفْ عَلَى أَسْفَارِهِمْ تَنَلِ الْمُنَى ... وَاعْمَلْ بِهَا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

لَا سِيَّمَا هَذَا الْكِتَابُ الْمُنْتَقَى ... فَهُوَ الشِّفَاءُ لِغُلَّةِ الظَّمْآنِ

وَاشْكُرْ مُؤَلِّفَهُ فَكَمْ قَاسَى الْعَنَا ... غَوْصًا عَلَى الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ

حَتَّى أَجَادَ بِحِكْمَةٍ تَرْصِيفَهُ ... فَدَنَا جَنَى جَنَّاتِهِ لِلْجَانِي

مِنْ قَبْلِهِ أَبْدَى التَّآلِيفَ الَّتِي ... سَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الْأَوْطَانِ

فَجَزَاهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... وَحَبَاهُ فِي الدَّارَيْنِ كُلَّ أَمَانِ

تَارِيخُهُ (بُشْرَى لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الثُّـ

ـجَبَاءِ لُبًّا) فِي رَبِيعٍ الثَّانِي

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ ... مَا غَنَّتِ الْوَرْقَاءُ فِي الْأَغْصَانِ

---

(١) كذا بالأصل . وفيها تصحيف وصحتها : كتفرق . ليستقيم الوزن

(٢) « « « « « عابدى أو عابد . ليستقيم المعنى

المصحح

وَاغْفِرْ لِنَاظِمِهَا مُحَمَّدِ الْهِلاَ ... لِي ذَنْبَهُ يَا وَاسِعَ الْغُفْرَانِ
فَرِّجْ بِفَضْلِكَ يَا كَرِيمُ كُرُوبَهُ ... وَاخْتِمْ لَنَا بِالْخَيْرِ وَالرِّضْوَانِ

قد عنى بنشره [الطبعة الأولى] أبناء أخي الشارح ـ رحمه الله ـ عبد السلام وعبد السميع ومحمد إدريس ومحمد أمين

تم ـ بحمد الله ـ الجزء العاشر
من كتاب
تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي
مذيلا بكتاب
شفاء الغلل شرح كتاب العلل
للإمام أبي عيسى الترمذي
رحمنا الله وإياه

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

خاتمة

الآن ـ وقد أتممنا طبع هذا الجزء العاشر ـ نكون بحمد الله قد أكملنا طبع كتاب تحفة الأحوذى فى طبعته الثانية ، التى تعد فى الحقيقة بمثابة الطبعة الأولى . حيث كانت سابقتها خطية حجرية نباتية . غفلا من الضبط والرقم والفواصل والتنظيم . شأنها فى ذلك شأن مطبوعات عصرها من أمهات الكتب والمراجع . . جزى الله من عنى بها ، وقام على طبعها ونشرها بالهند بعد وفاة مؤلفها ، خير الجزاء .

أما نحن ، فنجد حقًّا علينا أن نقوم لله بالحمد ، حيث أبدلنا بأكثر العسر يسراً . . وكان امتحانه لنا فى النذر اليسير .

ولسنا ندل هنا بمجهود بذلناه ، أو عنت عانيناه خلال مراحل طبع الكتاب . . من تبعات المسئولية العلمية ، أو مشقات الرحلات اليومية ، بين المطابع العديدة . أو متاعب الحصول على ورق الطبع الجيد على ندرته فى ظروف غير مواتية . أو خلافات الرأى فى شئون الطباعة . بالإضافة إلى ضخامة حجم الكتاب الذى يبلغ اثنى عشر جزءاً مع مقدمته . وربما ضرب الجزء الواحد منه فى المائة الثامنة .

لسنا ندل بذلك أو ببعضه . . إنما فقط نعتد ونعتز بفضل الله سبحانه . الذى جبر ضعفنا ـ فيسر لنا العسير والكثير .

على أننا لانزعم أنا بلغنا من أمرنا الكمال أو قاربناه . إنما نزعم صادقين أنا تصرفنا مخلصين ، مبتغين فى ذلك وجة الله ـ إنشاء الله ـ ثم المودة فى ذاته سبحانه بيننا وبين أخينا الناشر الهمام ، الغيور على نشر نفائس الكتب ، العامل على إحياء سنة الرسول الكريم عليه صلوات الله ، الباذل فى سبيلها كرائم المال .

أحسن الله إليه ، وأجزل له المثوبة وأعظم الجزاء .

كذلك لا نخفى ـ مما عانينا ـ أن ثمت مطابع كانت على النصح والوفاء عصية ، غير نقية . . لابعهد وافية ، ولا لأمانة راعية . قليل من رجاء المثوبة حظها . . هين من خوف العقوبة نصيبها . . وإن كانت فى مواكب الصالحين ذات دعاء عريض . وصدق الله سبحانه إذ يقول : « ولكن الناس كانوا أنفسهم يظلمون » .

لقد طبع الكتاب فى مطابع أربع . . بل فى خمس . . وهذا الجزء مثلا طبع وحده فى ثلاث مطابع . . وبرغم ذلك . . وسعياً وراء الأحسن ، لم نلق فيه من المصاعب مالاقينا فى أخوة له من قبل .

أما الأجزاء الأول فكان كسر الجبل أسهل منالا ، وأهون احتمالا ، من أن نبلغ فى تجويدها أكثر مما بلغناه ، على طول الصبر والأناة .

ومن لدن الثالث إلى العاشر فالفضل والإحسان فيها مرجوع إلى الله سبحانه .. والخطأ والتقصير ـ إن وجد ـ منسوب إلينا أنفسنا لانرمى به بريئاً.

لقد كان هناك فوارق جوهرية بين الناس . وكان طبع الكتاب محكا للصبر والاحتمال ، المدعوم بالتصميم والإصرار على التجويد والإنجاز . كذلك

كان معتركا للأخلاق والفطر والطبائع ، وكان أيضاً دراسة للنفس البشرية فى تقلباتها وأهوائها .

ولست أنكر ـ للحق والإنصاف ـ أننى صادفت فى خلال ذلك الكثير من الطيبين المجيدين . أولئك ، بفضل الله وتوفيقه ـ ثم بمعونتهم ـ وفق الله إلى كثير الإحسان .

رحم الله المؤلف وأثابنا وأثابه الجنة وألزمنا والصالحين من عباده كلمة التقوى وصلى الله على نبيه الكريم . وآله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .

القاهرة : غرة رجب ١٣٨٧
١٩٦٧

عبد الرحمن محمد عثمان